تعليمية اللغة العـــربية عند عبد الرحمان الحاج بين النظريـــة والممـــارسة

د. آسية متلف
جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف (الجزائر)
Metlef.assia@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2018/04/23 تاريخ النشر: 2019/12/01

ملخص:

يعد موضوع اكتساب اللغة وتعلمها من أبرز المواضيع التي اهتم بها العلماء والباحثون في اللغة وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلوم التربية رغبة في اكتشاف طبيعة العملية النفسية اللغوية ، التي تجعل الإنسان قادرا على إتقان نظام تواصلي معقد ، ولقيام أي عملية تعليمية لابد من اتباع طريقة ومنهج معين، ولا يكون هذا إلا في ظل علم قائم بذاته له مرجعيته المعرفية ومفاهيمه ، ومصطلحاته وإجراءاته التطبيقية وهو علم تعليم اللغات أو ما يسمى بالتعليمية " Didactique"، ومن أحد أهم مؤسسي فروع تعليمية اللغة العربية الدكتور "عبد الرحمان الحاج صالح"الذّي عرف بغيرته على اللغة العربية ومحاولة الرقي بها وتعليمها فبذل الجهد المضين لتحقيق هذا الهدف المنشود

فماهي الأساليب والطرائق البيداغوجية الناجعة لنجاح العملية التعليمية ؟وعلى أي مرتكز لساني نعول في تحقيق الغاية من العملية التعليمية ؟ .

_ فيما تتلخص أهم جهود الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح في قضايا ترقية اللغة العربية .

_ماهي أهم المبادئ التي يرتكز عليها عبد الرحمان الحاج صالح في صناعة تعليم اللغة .

1_ الحدود المصطلحاتية للتعليمية والتّعلم:

أ_مصطلح التعليمية: Didactique:

يشير العديد من الباحثين الى تعدد المصطلحات التي تقابل المصطلح الأجنبيDidactiqueويرجعون ذلك الى تعدد مناهل الترجمة ، وأيضا الى ظاهرة الترادف في اللغة العربية ، ففي الوقت الذي اختار بعض الباحثين استعمال(**ديداكتيك**) تجنبا لأي لبس في مفهوم المصطلح ، نجد باحثين آخرين قلائل يستعملون مصطلح (**تعليميات**) مثل :لسانيات ورياضيات...إلخ.، أما مصطلح (تدريسية) فهو استعمال عراقي ، ولم يشع استعماله ،غير أن المصطلح الذي شاع أكثر من غيره هو **تعليمية**.[1]، وإذا عدنا الى أصل الكلمة –Didactique_ فهي مشتقة من أصل يوناني Didactiquosوتعني التعليم ، فهي علم يختص بدراسة أنجع الطرق لتحصيل اللغات [2]، فقد عرفه (**جان كلود غاينون**) في دراسة له أصدرها سنة 1973 بعنوان :ديداكتيك المادة التعليمية كما يلي: إشكالية، إجمالية ، دينامية، تتضمن:

- تأملا و تفكيرا في طبيعة المادة الدراسية وكذا في طبيعة وغايات تدريسها.

_ وإعداد لفرضياتها الخصوصية ،انطلاقا من المعطيات المتجددة والمتنوعة باستمرار لعم النفس والبيداغوجية وعلم الاجتماع...إلخ.

_ دراسة نظرية وتطبيقية للفعل البيداغوجي المتعلق بتدريسها .[3]

ومن هذا التعريف نستخلص أن الديداكتيك علم قائم بذاته ، لا تقتصر وظيفته على التأمل والتفكير فقط ، وإنما على البحث والتحليل وصياغة استراتيجيات التعلم ، فهو (يدرس التعليم من حيث محتوياته ونظرياته وطرائقه دراسة علمية ، وهو في ميدان تعليم اللغة يبحث في سؤالين مترابطين ببعضهما ، ماذا ندرس ؟[4]' أي أنها تهتم بالإطار التعليمي من كل جوانبه ، سواء كان المتعلم أو المعلم أو المحتوى.

فالسؤال متعلق بالمحتوى التدريسي ، أما الثاني فيتعلق بطبيعة المتعلم من حيث حاجاته وميوله، لذلك يتجه البعض إلى القول بأنها " مجموع الطرائق والتقنيات والوسائل التي تساعد على تدريس مادة معينة"[5] ، وخلاصة القول أن التعليمية تهتم بالتصورات النظرية ، وبالعمل التطبيقي الموسوم بالتدريس.

_ فروعها:

جلّ التعريفات التي تتمحور حول التعليمية تأخذ بعين الاعتبار المثلث التعليمي الذي ما فتئ البعض يسميه المثلث التربوي ، وهو المشكل من ثلاثة أركان أساسية يجب أن تراع في العملية التعليمية وهو حسب المخطط التالي:

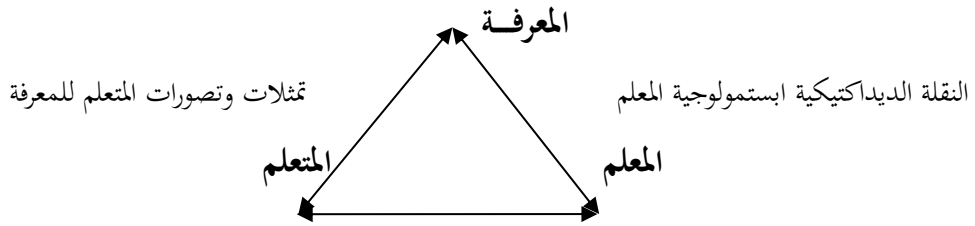

المثلث الديداكتيكي [6]

ولكل ركن من هذه الأركان جوانب وأبعاد" فالمعلم هو الركن الأساسي في العملية التعليمية الناجحة ، لذا ينبغي أن يكون متمكنا من المادة وخبيرا بطرق تدريسها..." [7]' كما ينبغي أن يكون له المقدرة على تمكين المتعلم من توظيف المادة وتطبيقها في مختلف المجالات ،كما " لا يمكن لمدرس اللغة اليوم أن يجهل ما أثبته العلم في عصرنا الحاضر من حقائق وقوانين ، ومن معلومات مفيدة ، ومناهج ناجحة في التحليل اللغوي"[8]، أما المتعلّم فينبغي أن يكون لديه جملة من القدرات منها : الانتباه ، والاهتمام والمناقشة وحسن الاستيعاب ، والقبول في تجديد المادة التي سبق تحصيلها.

وهذه الخصائص لا يتساوى فيها المتعلمون ،" وإنمّا توجد بينهم فروق لا بد من درسها ومراعاتها ، وهذه الخصائص تختلف درجة أهميتها بين متعلم للغة الأولى ومتعلم للغة أجنبية، لكنها على أية حال تنظم خصائص "العمر" و "استعداد" التلميذ للتعليم اللغوي، وقدراته المعرفية ومعلوماته السابقة ، أو معرفته بلغة أجنبية أخرى، ثم شخصيته والدافعية الى تعلم اللغة "[9]

أما الركن الثالث والأساس في العملية التعليمية فهو المادة التعليمية ، وتتمثل في(كل ما يمكن تعليمه وتعلمه ، وجملة المعارف العلمية والفنية المكونة لمحتوى البرنامج المقرر)[10] وبما أن "التعليمية" هي علم شغله الشاغل هو التّعليم والتّعلم فإنّه علينا أن نتطرق الى تعريف كل مصطلح على حدى.

ب_ مفهوم مصطلح التّعليم:

عرّف التربويون التعليم بأنّه:" عملية تحفيز واثارة قوى المتعلم العقلية ونشاطه الذاتي ،بالإضافة الى توفير الأجواء والإمكانيات الملائمة التي تساعد المتعلم على القيام بتغيير في سلوكه"[11] ، إذا فالتعليم سلسلة من الفعاليات المنتظمة المساهمة في تيسير وتسيير عملية تعلم التلميذ .

ويعده أخرون بأنه (عملية تلقين التلاميذ معلومات مختلفة وتدريبهم على أداء العمليات أو التجارب المنصوص عليها في المنهج الدراسي)[12] ، أي هو جعل الأخر يتعلم ويقع على العلم والصنعة ، وجملة القول هو(نقل المعلومات منسقة إلى المتعلم)[13]، إذن هو نقل معارف أو خبرات أو مهارات و ايصالها إلى فرد أو أفراد بطريقة معينة.

ونظرا لأهمية التي يكتنفها التعليم جعلته محط أنظار عدد كبير من العلماء، فانصبوا يبحثون فيه وفي شروطه لتسهيل العملية التعليمية للإنسان من حيث هو كائن مكلف بحمل رسالة مقدسة في هذا الكون، ولهذه الأهمية بالذات حاول المفكرون على اختلاف توجهاتهم العلمية معرفة آليات التّعلم عند الكائن الحي عامة ،والانسان خاصة ،وقد توضح ذلك على يد علماء النفس دون سواهم من حيث هو المحور الأساسي في حقل الدراسات النفسية والتربوية .

ج- مفهوم مصطلح التّعلم:

نظرا لتعدد الباحثين بتعدد المذاهب والمدارس النفسية ،فإن لهذا التعدد انعكاسا واضحا في تعدد التعريفات وتباينها ، فهناك من يعرفه بانه:" تغير في الأداء يحدث تحت شروط الممارسة"[14] ، ويعرف التعلم كذلك بأنه :" عملية اكتساب الوسائل المساعدة على إشباع الحاجات والدوافع وتحقيق الأهداف ، وهو كثيرا ما يتخذ صورة حل المشكلات"[15]، فمن النتائج المتوخاة من عملية التعلم هي الوصول الى هدف او حل بعض المشكلات .

وإذا كان هذا التعريف يشير الى اكتساب الوسائل المساعدة فان هناك من يرى أن التعلم هو (عملية داخلية نستدل على حدوثها عن طريق أثارها أو النتائج التي تظهر من عملية التعلم) [16]، فمهما كان نوع العملية فان النتائج التي تظهر في الاخير هي التي تدل على أنه حدث تعلم.

ويرى " J.Guilford" في مؤلف بعنوان " Général Psychology": "أن التّعلم لا يعدو أن يكون تغييرا في السلوك ناتجا عن استثارة هذا التغيير نفسه في السلوك، وقد يكون نتيجة لأثر منبهات بسيطة، وقد يكون أحيانا نتيجة لمواقف معقدة"[17].

يعرف " Guilfordالتّعلم بأنّه تغير في السلوك لا أكثر و لا اقل نتيجة لمنبهات تثير هذا التغيير نفسه في السلوك سواء كانت هذه المنبهات بسيطة أو قد تكون مواقف معقدة وهناك من يرى بأنه " تيسير التعلم وتوجيهه ، وتمكين المتعلم منه ، وتهيئة الأجواء له"[18].

نفهم من هذا التعريف ان التعليم يقود المتعلم الى التّمكن من التّعلم بسهولة ، وبتوفير الشروط اللازمة لتيسير عملية التعلم ، في حين يرى البعض أنه علينا التفريق بين المفهومين حيث يقول :" إن التّعليم هو العملية والإجراءات التي تمارس ، بينما التّعلم هو نتاج تلك العملية..."[19] ،نتيجة للوعي بضرورة اكتساب المعرفة المغيرة لسلوك الإنسان ، يمكن القول إذن أنّ التّعلم هو تغير دائم في سلوك الإنسان، نتيجة الممارسة أو أثر منبهات ، او نتيجة تفاعل مع البيئة المادية والاجتماعية،فاهتمام علماء النفس واللسانيات باكتساب اللغة عند الطفل جعلهم يفردون زخما كثيفا من الآراء والنظريات لتفسير ارتقاء نظامه اللساني ،

في الحين ذاته ساهم الأستاذ الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في تطوير اللغة العربية وتيسير تعليمها لأبنائها ولغير الناطقين بها ، فقد ساهم مساهمات جادة في الكشف عن مشكلات تدريس العربية وتعلّمها في مختلف مراحل التعليم من الابتدائي الى الجامعي، فما هي الأسس والمبادئ التي يرتكز عليها عبد الرحمان حاج صالح في صناعة تعليم اللغة ؟

ففي ظل هذه الافاق التعليمية والتّطلع ال تعليمية اللغة العربية أكّد عبد الرحمان الحاج صالح أنّإصلاح الملكة اللغوية لن يتحقق الاّ عن طريق التعليم وهذا لن يتأتى إلاّ من خلال التمييز بين مرحلتين لتعليم اللغة العربية :[20]

- المرحلة الاولى :يتم فيها اكتساب الملكة اللغوية الاساسية وهي القدرة على التعبير السليم والتّصرف العفوي في بنى اللغة ويتطلب ذلك وضع التّدرج لاكتساب التراكيب والبنى الاساسية للغة العربية والانتقال من الاصول الى الفروع ، وفي مقابل هذا يحرص على تجنب أنواع التّعليم الفني الذّي يستخدم المحسنات البيانية والبديع.

- المرحلة الثانية وهذه المرحلة تالية للمرحلة الاولى يتم فيها اكتساب المهارة على التّبليغ الفّعال على أن يتم الانتقال إليها إلاّبعد أن يكون المتعلّم قد اكتسب الملكة اللغوية الاساسية [21]ليكون التّصرف في البنى والمثل اللغوية استجابة لما يقتضيه المقام أو حال الخطاب.

إلا أنّه وفي حقيقة الامر كما يشير عبد الرحمان الحاج صالح أنّ اكتساب ملكة العربية لن يتم بالسلامة اللغوية ولا بمعرفة قواعدها البلاغية بل بالتركيز على الاستعمال الفعلي في واقع الخطاب إذ يقول :"وعل هذا فالاستعمال العقلي للغة في جميع الاحوال الخطابية التي تستلزمها الحياة اليومية ينبغي أن يكون المقياس الاول والأساسي في بناء كل منهج تعليمي وأطراف هذا الاستعمال ينبغي أن يلمّ بها المربي كما يلم بها اللغوي "[22]،إلاّ أن هذا لا ينفي ضرورة الالمام بالبلاغة والنحو فحقيقة المعادلة التعليمية للغة العربية لن تتأتى إلاّ بالجمع بين النحو والبلاغة معا .

2- جهود الأستاذ الحاج صالح في قضايا تعليمية اللغة العربية ووسائل ترقيتها:

إنّ تطوير اللغة العربية وتيسير تعليمها لأبنائها ولغير الناطقين بها كان محط اهتمام الأستاذ ، من خلال آرائه حول الوضع الراهن للأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية ولبناء مناهج اللغة العربية في التعليم قبل الجامعي ، فقد كان للأستاذ الحاج صالح مساهمات جادة في الكشف عن مشكلات تدريس العربية وتعلمها في مختلف مراحل التعليم من الابتدائي الى الجامعي، لأن الواقع الحقيقي الذي كانت عليه اللغة العربية في عهد الفصاحة العفوية يختلف اختلافا كبيرا عما هو عليه في زماننا وفي هذا يرى الأستاذ " أنّه لن يتم أي تغيير جذري للوضع الراهن مالم يعالج هذا الوضع بالبحوث العلمية الدقيقة المنتظمة والوسائل التكنولوجية العظيمة المفعول"[23] ،لحصر الأسباب وجمع الحقائق الميدانية وتحليلها وإيجاد الحلول المناسبة بكل موضوعية، ومن أجل ذلك قام فريق من البحث بإحصاء المفردات الموجودة في الكتب المدرسية وما يقدم للطفل في المدارس الابتدائية ، وبعد تحليل هذه النتائج من قبل اللسانيين ، أظهر عيوبا ونقائص تمثلت فيما يلي :

أ_ من حيث الكم:

- غزارة المادة اللغوية فيما لا يحتاج إليه المتعلم بحيث لا يمكن بحال من الأحوال أن يأتي على جميعها ، ولذلك تصيبه ما نسميه ، ما نسميه بالتخمة اللغوية، كالألفاظ المترادفة الكثيرة والألفاظ الغريبة العقيمة أي التي قل استعمالها حتى عند الكتاب.
- عدم استجابة هذه المادة لما تتطلبه الحياة اليومية المعاصرة، كأسماء الكثير من الملابس والأدوات والمرافق الحديثة العهد إذ يؤكد عبد الرحمان الحاج صالح أنه لا يتهم اللغة في ذاتها بل كيفية استعمال المربين لها "فالكتب المدرسية هي من وضع هؤلاء، أما كون اللغة العربية لا يوجد فيها ما يكفي للتعبير عن المسميات

المبتذلة في البيوت و في الشوارع والمعامل ، فهذا راجع لكسل أهلها وضعف اعتناء منهم لضعفهم في أنفسهم لأن اللغة سماع وقياس خلاق يتراءى في كيفية استعمالها ضعف أصحابها "[24].

ب_ من حيث الكم والكيف: إنّ الكلمات التي يحاول المعلم تلقينها تكاد تشتمل على جميع الأبنية التي تعرفها العربية ، وهذا ما يسبب تخمة أخرى في مستوى البنى[25]، وما يعمق أكثر خطورة الوضع هو "عدم مطابقة المحتوى الإفرادي المقدم للطفل لحاجياته الحقيقية "[26]، إذ لا يجد الطفل ألفاظا عربية يعبر بها عن هذه المفاهيم الحضارية فيشير الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح الى أن "مؤلف الكتاب المدرسي لايهتم بتلك المفاهيم وقد يكون السبب في ذلك هو عدم وجود لفظ مناسب للمفهوم فيعوضها بألفاظ تدل على مفاهيم أخرى وهذا بسبب كثرة المترادف وكثرة المشترك"[27]،فبعد هذه البحوث الميدانية تبيّن للباحثين وجود حشو هائل يتمثل في كثرة المترادفات في الكتب المدرسية وعلى الفقر المدقع الذي تتصف به مجالات المفاهيم الملقنة للطفل (حشو لفظي وخصائصه في المفاهيم) ، وهذا ينطبق أيضا على بلدان المغرب العربي لأن العمل كان مشترك.

ولرفع اللبس عن ما تقدم بخصوص المترادف والمشترك فإن الحاج صالح لا ينكر أهميتها في لغة التخاطب ولغة الأدب ولكن في حدود لا تجعل اللغة التي نعلمها كما أشار لغة مصطنعة لا علاقة لها بالحياة اليومية التي يعيشها الطفل .

أما المشكل الأهم في تعليم العربية والذي يشير إليه الأستاذ باستمرار في أبحاثه وصار جزءا من نظريته فهو وجود مستوى واحد من التعبير في تعليم العربية لجميع الفئات ، لأن أسلوب التعبير الذي يتعلمه الناس في المدارس لا يخرج عما أطلق عليه " التعبير الترتيلي"أو ألإجلالي ، وهو مستوى واحد من مستويي التعبير الموجودين في كل اللغات يقول".. لجميع اللغات في الدنيا مستويين على الأقل في التعبير : المأنوس والمنقبض ...فالمجتمع الذي تكثر فيه الأمية يبتعد فيه الأداء الترتيلي عن الأداء العفوي والطامة الكبرى في ذلك هو أن يصير التخفيف الخاص بالتخاطب لحنا في اعتقاد أكثر الناس وهذا يجب تقويمه عند الخاصة والعامة و بالخصوص عند المعلمين"[28]، إذ ينكشف المستوى الإجلالي في حالة انقباض المتكلم، ويستعمل في مناسبات معينة مثل: الخطب والمحاضرات والمحافل وهو المستوى الذي يفقد فيه المتكلم عفويته في التعبير ، والمستوى الإسترسالي وهذا يكون في حالة الأنس والاسترخاء فيستعمل التعبير العفوي في حالات الخطاب العادي.[29]

ناهيك عن أن أحادية التعبير المُمارسة في تعليم العربية بمدارسنا هي في حد ذاتها كارثة على حد تعبير عبد الرحمان الحاج صالح ، لأنها السبب في ركون الفصحى الى زاوية الأدب والكتابة من جهة، ومن جهة ثانية الابتعاد بالعربية عن الميادين النابضة بالحياة ألا وهي التخاطب اليومي ، مما أدى الى شيوع العامية واللحن في الخطابات العادية بين عامة الناس .

وبعد تحديد المشكل في تعليم اللغة العربية يقترح الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح مجموعة من المبادئ والأسس التي يرتكز عليها لصناعة تعليم اللغة .

3- المبادىء التي يرتكزعليها عبد الرحمان الحاج صالح في صناعة تعليم اللغة:

يشير عبد الرحمان الحاج صالح في هذا السياق الى أهم المرتكزات التي تساعد في صناعة تعليمية اللغة والتي تشكل آليات معرفية يجب الاخذ بها لتحقيق مبتغاها وأوّل ما نشير إليه ذلك التوافق المنهجي الذي يجب أن يكون بين التنظير والتطبيق ، فالمعرفة ليست إلّا تراكمات نظرية فلسفية لا تتجسد ولا يثبت وجودها إلاّ في إطار اجرائي تفاعلي بينها وبين معارف أخرى، فالتفاعل بين علم اللسان وعلم التربية يقدّم للعملية التعليمية الدّفع الحقيقي والآليات الاستراتيجية اللاّزمة لتحقيق التّعليم والتّعلم.

لقد قدّم الاستاذ عبد الرحمان الحاج صالح مجموعة من الاقتراحات التي من شأنها أن تدفع بالعملية التعليمية الى الامام من خلال محاولته تحديد الاسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية وتدريس اللغات والبحث العلمي وفي منهجية الدّرس اللغوي النظام التعليمي في الجزائر ، فأسّس معهد اللسانيات ومجموعة من فرق البحث في مجال الديداكتيك مستخدما فيها طرائق تبليغ النحو العربي القديم بتطبيق مبادئ النظرية الخليلية الحديثة وأدواتها الاجرائية في الدّرس اللّغوي الحديث، ومن أهم المبادىء التي ترتكز عليها صناعة تعليم اللغة عند عبد الرحمان الحاج صالح نذكر:

أ- التركيزعلى المتعلم واحتياجه وحال الخطاب:

سر النجاح في تعليم اللغات ينحصر في التركيز على المتعلم لا على المادة اللغوية على حده ومعزولة عنه أي على معرفة احتياجاته الحقيقية وهي تختلف باختلاف السن والمستوى العقلي وكذلك المهنة وانواع الانشطة المنوطة بالفرد في حياته وغير ذلك ، ولا يحصل هذا إلاّ بالنظر في أحوال الحديث وهي غير متناهية العدد[30]، لأنّ الأفعال الكلامية التي يحدثها المتكلم لا تحصل منعزلة، بل تحدث في حال خطاب معينة وتوجه إلى خطاب معين، فلكل ذلك تأثير على موقف المتكلم وسلوكه الكلامي، وعلى تعلم اللغة ... وبهذا تظهر أهمية حال الخطاب وقرائنها وأهمية العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب والخطاب[31] .

2- اكتساب اللغة هو اكتساب مهارة معينة :

يرى الأستاذ أن اكتساب المتعلم للغة هو اكسابه لملكة معينة ، وهي مهارة التصرف في البنى اللغوية بما يقتضيه حال الخطاب وليس اكتسابا لعلم النحو أو علم البلاغة فالمعروف عن تعليم اللغات أنه ايصال لمعطيات لغوية مادة وصورة والعمل على ترسيخها... ومن ثم خلق القدرة على التصرف فيها ... فالعمل الاكتسابي للغة يكاد يكون كله تمرسا ورياضة مستمرة : كلما زادت وتواصلت زاد النمو اللغوي وقويت الملكة[32] .

3- التخطيط للمادة اللغوية والتسلسل المنطقي لأجزائها أمران ضروريان:

ما من شيء يدخله التنظيم إلا و لابد أن يخضع لنوع من الترتيب ، وإن كان عملا متواصلا وكان بالتالي الزمان من أبعاده فلابد أن يخضع للتخطيط والتدرج والانتقاء...وينبغي أن تؤخذ من الموضوعات أو البنى النحوية تلك التي كثر مجيئها على ألسنة العرب وتتصف الان ايضا في لغة التحرير وغيرها بكثرة الدوران وذلك مثل ما فعل بمفردات الرصيد اللغوي ، ويترك كل ما ليس مثالا إجرائيا كالتعديلات والتعليقات الهامشية ... يكتفي في ذلك بالشيء القليل الذي قد يساعد في بعض الاحيان – حسب ما يرتئيه المعلم – على ترسيخ المثل بربطها بغيرها من البنى الواضحة ، وكذلك هو الامر بالنسبة للتدريج وتسلسل العمليات التعليمية ،فإن التجربة بينت أن الشاذ عن القياس إذا بدا به وكان كثيرا عاق ذلك المتعلم[33].

4- المشافهة:

باعتبار ان الكلام المنطوق هو الأصل والمكتوب فرع عليه ،فإن اللغة لا تنحصر فيما يكتبه من أدباء وغيرهم بل هي أيضا أصوات تلفظ وتسمع، و أن المخاطبات اليومية تشكل القسط الأوفر من استعمال الناس للغة ، فهذا الجانب الحي من اللغة كان قد تناساه المربون وصاروا لا يلتفتون إلى الى النصوص الأدبية الخاصة[34].

5- الإنغماس اللغوي:

يرى عبد الرحمان الحاج صالح أن هذه المهارة (الملكة اللغوية) لا تنمو و لاتتطور إلا في بيئتها الطبيعية وهي البيئة التي لا يسمع فيها صوت أو لغو إلا تلك التي يراد اكتسابها... فمن أراد أن يتعلم لغة من اللغات فلابد أن يعيشها هي وحدها لمدة معينة فلا يسمع غيرها ولا ينطق بغيرها و أن ينغمس في بحر أصواتها.[35]

6- العناية بالنحو والبلاغة معا:

فتفضيل أحدهما عن الأخر إجحاف باللغة وتعقيم لتعليمها، وكما كان التمييز بين النحو وعلم النحو فيجب أن يكون هناك تمييز بين البلاغة وعلم البلاغة ، فالمقصود من تعليم اللسان* للمتعلم في نظر عبد الرحمان الحاج صالح هو إكساب المتعلم القدرة العلمية لا النظرية على استعمال اللسان وليس أن نجعل منه عالما متخصصا في علوم اللسان كعلمي النحو والصرف وعلم البلاغة "[36]، وعلى هذا فالنحو كهيكل للغة – وهو بذلك صورتها وبنيتها- شيء والنظرية البنيوية للعربية التي هي علم النحو شيء أخر وكذلك هو الأمر بالنسبة للبلاغة ، فهي تقابل النحو في أنها كيفية استعمال المتكلم للغة والنحو فيما هو مخير لتأدية غرض معين ، فهي بهذا امتداد للنحو ... فالذي يقصده المربي إكساب المتعلم القدرة على إجراء القواعد النحوية والبلاغية في واقع الخطاب ليس إلا.

فالنحو والبلاغة متلازمان في عملية الخطاب الطبيعي ... فإذا اكتفينا في تعليم اللغة العربية بجانب السلامة اللغوية ، أي يجعل الطالب قادرا على تطبيق القواعد النحوية وحدها دون مراعاة ما تستلزمه عملية الخطاب ، أي دون القواعد البلاغية كان تعليمنا هذا ناقصا...(...) وتجاهلنا بذلك أن الملكة اللغوية بكاملها وفي جملتها هي مهارة التصرف في بنى اللغة بما يقتضيه حال الحديث.[37]

نصل في الاخير بالقول الى أن الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح حاول جاهدا إعطاء البديل سواء في مجال البحث اللساني أو نقده لواقع التعليم في الوطن العربي عامة والجزائر خاصة، من خلال غرس بذور لغوية أصيلة في نفوس المتعلمين والابتعاد عن البذور اللغوية الهجينة من لغات أخرى ، كما نجد له اسهاما كبيرا ومتميزا في خدمة اللغة العربية، وهذا من خلال جهوده الرامية الى تطوير تدريس هذه اللغة القومية، وجعلها اللغة المستعملة فعلا في حياتنا اليومية، وقد أثبت في العديد من بحوثه أن الاستعمال الفعلي للغة هو المنطلق الأساس لأي بحث لساني ، ولبناء المناهج التعليمية للغة العربية.

هوامش البحث:

[1] _ينظر: بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ط01، 2007،ص9

[2] _ينظر عمار ساسي ، اللسان العربي وقضايا العصر ، رؤية عملية في الفهم ،المنهج ، خصائص التعليم والتحليل ، دار المعارف ، البليدة ، الجزائر ص81.

[3] _ رشيد بناني، من الديداكتيك الى البيداغوجية ، الحوار الأكاديمي والجامعي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1991،01، ص39

[4] _ بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق ،ص 9.

[5] _ فريدة شنان، مصطفى هجرسي، المعجم التربوي ، المركز الوطني للوثائق التربية ، الجزائر، 2009، ص99.

[6] _ محمد لمباشري، الخطاب الديداكتيكي بالمدرسة الأساسية بين التطور والممارسة (مقاربة تحليلية نقدية) دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء المغرب ،ط1،2002،ص23.

[7] _ صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة ، الجزائر، ط1،2000، ص72.

[8] _ عبد الرحمان الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية ، بحوث ودراسات في علوم اللسان ، موفم للنشر، الجزائر ط1،2007،ص181.

[9] _ عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر 1995،ص1

[10] _ بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق ،ص 11

[11] _ فريدة شنان، مصطفى هجرسي، المعجم التربوي، 52.

[12] __ رشيد نبيل وآخرون، الأسس العامة للتدريس، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1،1983، ص29

[13] _ محسن علي عطية الكافي في أساليب التدريس اللغة العربية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ،عمان ، ط1،2006،ص 55.

[14] _ أحمد زكي صالح، نظريات التعلم ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، مصر، 1983، ص21

[15] _ صالح بلعيد ، المرجع السابق ،55

[16] _ محمد جاسم محمد ، نظريات التعلم، دار الثقافة ، الأردن، ط1،2006 ص42.

[17] _ أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية ، خقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2004،ص47

[18] __ دوجلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها ، تر: عبده الراجحي وعلي أحمد شعبان، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان، 1994،ص26.

[19] _ محسن علي عطية الكافي في أساليب التدريس اللغة العربية ،ص 56.

[20] _عبد الرحمان الحاج صالح ،بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ، ج2،ص54.

[21] _عبد الرحمان الحاج صالح ،أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية ، مجلة اللسانيات ،معهد العلوم اللسانية والصوتية ، جامعة الجزائر

[22] _ عبد الرحمان الحاج صالح ،الاسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التّعليم ما قبل الجامعي ، المجلة العربية للتربية الاليسكو، سبتمبر 1985،المجلد 5، العدد 2،ص19_30.

[23] _ عبد الرحمان الحاج صالح، الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي،ص185

[24] _ المرجع السابق ص 160.

[25] _ ينظر:عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان ، ص205.

[26] _ المرجع نفسه ص 205.

[27] _ المرجع نفسه ص205.

[28] _ عبد الرحمان الحاج صالح، إعادة الإعتبار للغة العربية في المجتمع العربي ، مجلة اللغة العربية ،المجلس الأعلى للغة العربية الأبيار ،الجزائر ع5،ط67،2009،1.

[29] _ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح ،بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ،ج1، مرجع سابق ص70.

[30] _ عبد الرحمان الحاج صالح، الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي،ص185.

[31] _ المرجع نفسه ص125_126

[32] _المرجع نفسه 185_186

[33] _المرجع نفسه ص187_188

[34] _ علم تدريس اللغات والبحث العلمي في منهجية التدريس اللغوي ،ص193.

[35] _المرجع نفسه ص193

[36] _ينظر عبد الرحمان الحاج صالح الاسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي ، ص182

[37] ينظر المرجع نفسه ص184.